

المصطلح النحوي والمصطلح الكلامي عند الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي

م . م . قصي ثعبان يوسف
أ . د . سلام موجد خلخال

ملخص البحث :

قامت نظرية النحو العربي على نظريات عدة ، منها نظرية المصطلح ، وقد شكلت نظرية المصطلح قديماً وحديثاً إشكالاً ؛ لأن فهم التراكيب النحوية قائم في أحد جوانبه الأساسية على فهم المصطلح ، ومادته ، وانطلاقاته ، وما يعنيه داخل النص التركيبي النحوي ، وقد تناول الدكتور كريم حسين ناصح مفهوم المصطلح النحوي عند القدماء وأثر المصطلح الكلامي فيه ، مما دفعني إلى اختيار موضوع البحث الموسوم بـ (المصطلح النحوي والمصطلح الكلامي عند الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي) ، فقد قارن الدكتور بين المصطلح النحوي والكلامي من حيث التأثير والتأثير على صعيدي المفهوم واللفظ ، فجاءت الدراسة على محاور عدة ، هي : (الجوهر ، والأفعال ، والصفات ، والحركة والسكون ، والأصل والفرع) ، فكانت الأهداف المستهدفة من الدراسة إثبات مدى تأثير المصطلح النحوي عند النحويين القدماء والمتأخرين من عدمه بالمصطلح الكلامي ، وما هي منطلقاته .

فخلصت الدراسة إلى أن النحويين القدماء المتقدمين كالخليل وسيبويه لم يتأثر عندهم المصطلح النحوي بالمصطلح الكلامي من حيث المفهوم والآليات ، إنما كان المفهوم اللغوي الفطري بالمشافهة للعرب وتتبع أساليبهم هو المنطلق لمفهوم المصطلح عندهم ، وأن التأثير بالمصطلح الكلامي كان عند المتأخرين من النحويين في مصطلحهم النحوي ، وانتهت الدراسة بالخاتمة والنتائج ، والهوامش ، والمصادر والمراجع .

: Research Summary

The theory of Arabic grammar is based on several theories, including the term theory. The term theory, both ancient and modern, has been problematic. Because the understanding of grammatical structures is based in one of its basic aspects on understanding the term, its material, its precursors, and what it means within the grammatical synthetic text. The grammar and the verbal terminology of Dr. Karim Hussein Nasih Al-Khalidi, the doctor compared the grammatical and verbal terms in terms of influence and impact on the levels of concept and pronunciation, so the study came in several axes, which are: (essence, verbs, qualities, movement and stillness, origin and branch), so it was The aims of the study are to prove the extent to which the grammatical term was affected by the ancient and late grammarians, and what are its starting point .

The study concluded that the ancient grammarians, such as Al-Khalil and Sibawayh, were not affected by the grammatical term with the verbal term in terms of the concept and mechanisms. The study concludes, results, footnotes, sources and references.

مقدمة

بني النحو العربي على نظريات عدة ، منها نظرية المصطلح ، إذ يعد من الأسس المهمة في التركيب النحوي ونصه ؛ لما له من أثر في توضيح وبيان المعنى المقصود من لدن النحويين ، وقد تجلّى بشكل واضح عند الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه في أول مؤلف نحوي متكامل المنهج وصل إلينا ، وهو (كتاب سيبويه) ، وكذا المؤلفات التي تلتها بعد ذلك ، فكان المصطلح النحوي يشكل إشكالية واضحة عند من يأتي بعد المؤلف

السابق بزمن معين ، فيفسره ويشرحه ويوضح أبعاده ، وأصوله ، وغاياته ، وحركته داخل التركيب والنص النحوي ، وهذا ظاهر عند شراح كتاب سيبويه ، وقد انقسم المحدثون إزاء وصف وتحليل المصطلح النحوي عند القدماء إلى قسمين : الأول يرى تأثير المصطلح النحوي بالمصطلح الكلامي ، والثاني ينفي هذا التأثير ، فالذين ذهبوا إلى القول بالتأثير انطلقا من أنّ النحو علم صناعي قد تأثر بالعلوم الباقية ، ومنها علم الكلام ، شأنه شأن العلوم من حيث التبادل بحسب قانون التأثير والتأثير ، والقسم الآخر ذهب إلى نفي التأثير ، وأن المصطلح النحوي أصيل فيه ؛ لأن العقل اللغوي الفطري هو الأولى في بناء ما هو من كيانه ، فهو كباقي علوم العربية من معجم ، وعروض ، وغيرهما ، والغاية من ترجيح التأثير أو عدمه هو أن وصف الواقع ينعكس على فهم ذلك الواقع اللغوي والنحوي كما هو ، وبيان مقاصده ، ومفاهيمه بشكل دقيق .

مدخل :

يعد المصطلح النحوي جزءاً مهماً من البناء النظري للنحو ، والنظر العلمي فيه يؤدي إلى الكشف عن المفهوم للهيكل النظري للنظام النحوي^(١) ، فالمصطلحات النحوية تشكل جزءاً جوهرياً فيه^(٢) ، قبل التعرف لتعريف الاصطلاح يجب معرفة تعريف النحو ، فالنحو ((انتحاء سمت كلام العرب))^(٣) ، والاصطلاح ((عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضوعه الأول ، الاصطلاح إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما وقيل الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى ، وقيل الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين))^(٤) . تناول علماء النحو المصطلح النحوي تناولهم النحو نفسه ، فمنهم من ذهب إلى أن المصطلح النحوي ينشأ نشأة مستقلة بعيداً عن تأثيره بعلم الفقه والكلام ، والفلسفة^(٥) وذهب آخرون إلى تأثيره بهذه العلوم المذكورة آنفاً^(٦) .

ترتكز عملية دراسة المصطلح على مراحل مهمة هي : الإحصاء للمصطلح ، والأصل

المعجمي ، ودراسته داخل النص ، وما هو مفهومه داخل هذا النص في العلم المختص به^(٧) .

١- المحور الأول : مصطلح الجواهر :

يذهب الدكتور كريم حسين ناصح إلى أن الفكر الكلامي (الاعتزالي) كان حاضراً عند النحويين ، ومن هذه الأفكار التي قال بها الكلاميون (الجوهر) ، فوجد المعتزلة أن المخلوقات (أجسام) ، وأن تجزئتها تنتهي إلى ما سموه (بالجواهر المفرد) ، وأن هذا المصطلح قد كان حاضراً كثيراً عند النحويين ، إذ سموه الذات (الجسم) والجواهر ، والعين ، وأن الأعراض تحمل على الجوهر (الجسم) ، فالأعراض حادثة كالأجسام ، وأنها حادثان ، مما دعا النحويين إلى القول بالحدوث للجوهر (الجسم) والأعراض (الأفعال ، وللصفات) ، فالجوهر تمثله الأسماء في النحو ، والأعراض تمثلها الأفعال ، والصفات ، والمصدر ، والصفات تضم : النعت ، والحال ، والخير ، وغيرها^(٨) .

ذكر سيبويه مصطلح الجواهر في كتابه : ((فإذا لم يجز أن يبنى على المبتدأ فهو من الصفة أبعد ؛ لأن هذه الأجناس التي يضاف إليها ما هو منها ومن جوهرها ولا تكون صفة))^(٩) .

واستعمل المبرد مصطلح (جوهر) ، في قوله : ((وأما من أبدل منه فيقول : الوصف تابع مستغنى عنه ، وإنما أبدل من الموصوف لا من وصفه ، وليس المبدل منه بمنزلة ما ليس في الكلام إنما أبدلت للتبيين ، ولم تقل إنه نعت ، لأنه جوهر لا ينعن به))^(١٠) .

وصرح ابن جني به ، في قوله : ((وأيضاً فإن المصدر مشتق من الجوهر ، كالنبات من النبت ، وكالاستحجار من الحجر...))^(١١) ،

وقوله : ((وأما المبالغة والتوكيد فلأنه أخرجه عن ضعف العرضية إلى قوة الجوهرية))^(١٢) وذهب ابن برهان في شرح اللمع إلى ذكر الجوهر ، في قوله : ((والفعل عند النحويين بمنزلة العرض ، والفاعل بمنزلة الجوهر في علم الناظرين))^(١٣) .

فمصطلح الجوهر في الفكر الكلامي (المعتزلة) يعني الجزء الذي لا يتجزأ ، وهو ما قالوا عنه بالجوهر الفرد^(١٤) ، وأرى أن تأثر النحويون بالفكر الكلامي المعتزلي لا يؤخذ به على إطلاقه^(١٥) ؛ لأن النحويين المتقدمين يختلفون عن النحويين المتأخرين ، إذ أن الخليل بن أحمد الفراهيدي قد توصل إلى علم العروض بالنظر في موسيقى شعر العرب حتى وضع مصطلحاته وأوزانه^(١٦) ، وكذلك المعجم فقد وضعه من خلال التتبع والنظر في المفردات العربية للعرب^(١٧) ، وكذا علم النحو قد أوجده من خلال ملاحظته وتتبعه لأساليب العرب مشافهة^(١٨) .

وعلى هدى أستاذه سار سيبويه في كتابه ، ولو تتبعنا تعريف الخليل للجوهر في معجم العين : ((جوهر كل شيء ما خلقت عليه جِبَلْتُهُ))^(١٩) ، وحللتنا ورود الجوهر في كتاب سيبويه في ضوء المعنى المعجمي لوجدنا أن المعنى اللغوي يتفق مع النص ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر أنّ الخليل وسيبويه لم يصرحا بتأثر علم الكلام في النحو ، وعليه لا نستطيع أن نحمل مصطلحات الكتاب على المعنى الكلامي ومصطلحه ، أما الطبقة المتأخرة من النحويين فنرى تأثرهم بالمصطلح الكلامي في مؤلفاتهم بل صرح بعضهم بذلك فقد ذكر ابن برهان أن مصطلح الجوهر قد استقاه النحويون من الكلاميين^(٢٠) ، ونرى الرضي في شرح الكافية يستعمل الكثير من المصطلحات المنطقية والكلامية كالنحو والعرض ونحو ذلك^(٢١) .

وذهب الزركشي في البحر المحيط إلى أن المعاني الدقيقة للأصوليين جاءت باستقراء زائد على استقراء اللغويين^(٢٢) .

وأرى أن إسقاط مصطلحات (علم الكلام) على علم آخر مثل (علم النحو) قد يؤدي إلى حمل الثاني على ما لا يقصده ؛ لاختلاف طبيعة كل علم عن الآخر^(٢٣) ، وقد أقر الدكتور حسين كريم ناصح باختلاف العلمين^(٢٤) ، مما يلزم محذورا وهو أن النحويين الذين أخذوا عن العرب مشافهة قد اعتمدوا على ما قصدت العرب في لغتها ، وإسقاط هذا العلم (بمصطلحاته) - الذي لم يعرفه العرب - أن يحملهم على خلاف قصدهم ، فالخليل بن أحمد الفراهيدي قد نقل لغة العرب مشافهة ومتتبعا لأساليبها ومقاصدها بعقله اللغوي ، ونظره وفطنته ، وأنا لا أنفي وجود الأثر العقدي الكلامي مطلقا في مؤلفاتهم ، ولكن لا على إطلاقه ، إذ أراه موجودا بغاياته ، لا بألياته وبمصطلحاته هذا من جانب ، ومن جانب آخر أرى أن وجود التشابه اللفظي لا يعني التأثير ، فأهل الكلام قد طوروا المصطلح اللغوي ليجعلوه أدق وأكثر حداً في علمهم^(٢٥) ، وكذا توارد المقاصد والمصطلحات معنى يعود إلى أن بعض المصطلحات في علم الكلام كالتأثر والتأثير هي قوانين عقلية يتفق العقل الإنساني في فطرته عليها^(٢٦) .

٢ - المحور الثاني : الأفعال :

ذكر الدكتور أن الأفعال قد اشتقت من المصادر (الأحداث) في الفكر النحوي ، وتأثيرها وأثرها في غيرها ، مفسراً قول سيبويه في ذلك ، رابطاً بين الفكر النحوي والفكر الأصولي (المعتزلة) بأن الأفعال عرض يعرض على الجوهر (الذات أو الأجسام) ، ويربط بين التعدية للأفعال إلى مفاعيلها (الأثر والمؤثر) ، وكذلك بين مفهوم الفعل الحقيقي وغير الحقيقي في فكر النحويين وبين قانون التأثير الأصولي ، وأن ديناميكية الفعل (العرض) مهم في الحياة إلى جنب الجوهر في إحداث المتغيرات^(٢٧) .

بيّن سيبويه الفعل كقسم للكلم ، وقسيم للاسم والحرف ، وذكر اشتقاق الفعل ، بقوله : ((فالكلم : اسم ، وفعل ، وحرف ... وأما الفعل فأمثله أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبني لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع ... والأحداث نحو الضرب والحمد والقتل))^(٢٨) .

وذهب السيرافي إلى أن الأفعال أمثله ، أي : أبنية ، وقد اشتقت من أحداث الأسماء أي : المصادر ، ورد مصطلح المصدر إلى اللغة^(٢٩) .

وبيّن الرماني أن الفعل منقول عن أصل لغوي إلى صناعة نحوية ، ثم نقل إلى كلمة جمعت الحدث والزمن^(٣٠) .

وجاء في (حواشي كتاب سيبويه) أن سيبويه ((أراد بالأحداث والمصادر ، وسماها أحداث لأنها تحدث في رأي العين من الفاعلين ، وأضاف الأحداث إلى الأسماء وأراد به الذات (...))^(٣١) ذهب المعتزلة إلى التكلم عن الجوهر ، والأعراض ، والأجسام^(٣٢) ، وأن حركات الجسم محدثة^(٣٣) ، فالأفعال عارضة على الجسم .

وأرى أن الرجوع إلى الأصل اللغوي للأفعال من حيث هي أحداث أولى في تفسير نص سيبويه ؛ لأن النظر النحوي في أساليب العرب ولغتهم يقوي ذلك ، فالعقل اللغوي أولى في التطبيق بالمصطلح داخل النص إذا ما علمنا أن سيبويه لم يصرح بأثر علم الكلام ، فقوله : بأن الأفعال أمثلة اشتقت من أحداث الفاعلين يعني أنها أمثال مشابهة للمصادر ، فالأحداث جمع حدث ، و ((الحدث : الإبداء))^(٣٤) ، والإبداء : الإظهار^(٣٥) ، فالأفعال تشابه المصادر في الإظهار للحدث ولكنها تزيد عليها الزمن ، أما بالنسبة لقانون التأثير والتأثر فهو قانون فطري إنساني^(٣٦) قبل أن يكون قانوناً كلامياً ، وأن تعدية الفعل إلى مفاعيله عند سيبويه قد أدركه بالنظر في الفعل كجملة أسلوبية من أساليب العرب ، فقد قلب سيبويه الجملة الفعلية تقليباً استقرائياً ، وهذا يدل على وعيه بلغه العرب ودقائقها^(٣٧) .

فأرى أن سيبويه كان بعيداً كل البعد عن إسقاط آليات كلامية على لغة أخذت بالمشافهة والنظر ، فالأولى إرجاع مصطلحاته إلى أصلها اللغوي وما تدل عليه في النص بما يوافق العقل اللغوي الفطري عند العرب .

٣- المحور الثالث : الصفات :

ذكر الدكتور كريم حسين ناصح الوصف لغة النعت عند الخليل ، وأنه مرادف للنعت في النحو ، أما الأصوليون فقد ذهبوا إلى أن الوصف قيدٌ يقيد اللفظ ذا المعنى المشترك مع لفظ آخر بشيءٍ من معانيه ، وهم لا يريدون به النعت النحوي وحده ، وقد بحث الأصوليون في صفات الله ، وافترض الدكتور أنه لا ينبغي تطابق الرؤى في مباحث النحويين والأصوليين في بعض قضايا الصفة ؛ لأنه يريد أن يبين قانون التأثير والتأثير بين الأصوليين والنحويين في المفاهيم والمصطلحات والجذور الأولية لأغلب المباحث النحوية ، ووضح المطابقة بين الصفة والموصوف عند النحويين ، فالصفة هي الموصوف ؛ لذلك لم يصف النحو المعرفة بالنكرة ، مشيراً إلى أن السهلي قد ربط بين النحويين والأصوليين في أقسام النعت ، وبيّن مكانه المشتق عند الأصوليين كإتباع الصفة للموصوف في الإعراب ، وأن سيبويه قد أشار إلى إتباع الصفة للموصوف في الإعراب ، وكان ذلك عند النحويين انطلاقاً من أثر العامل ؛ لأن العامل لا يعمل فيه إلا على الاتباع ، ويرفض الدكتور كريم حسين ناصح هذا التخريج ، ويوجهه بثلاثية العامل^(٣٨) .

استعمل سيبويه مصطلح الصفة في بداية كتابه ، فقال : ((وأما مضارعه في الصفة فانك لو قلت أتاني اليوم قويٌّ ... ومرتت بجميل ، كان ضعيفاً ، ولم يكن في حسن أتاني رجلٌ قويٌّ ... ومرتت برجلٍ جميلٍ . أفلا ترى أن هذا يقبح ههنا كما أن الفعل المضارع لا يتكلم به إلا ومعه الاسم ، لأن الاسم قبل الصفة ، كما أنه قبل الفعل ومع هذا أنك ترى الصفة تجري في معنى يفعل ويعني هذا رجلٌ ضاربٌ زيداً وتنصب كما ينصب الفعل ...))^(٣٩) .

يستشف من النص المذكور أنفاً أن الصفة متأخرة في الوجود عن الاسم (الذات) ، ولها من أحكام العمل ما للفعل المضارع ، وهذا يدرك بالعقل اللغوي وتتبع أساليب العرب ، وكذا في إتباع الصفة للموصوف في الإعراب .

وأفرد السهيلي باباً للنعت ووضح فيه أن الصفة تخصص الاسم بما فيه ، وأشار إلى مفهوم النعت عند النحويين ، وأن النعت حقيقة هو الوصف لفظاً الدال على المعنى ، وبيّن أقسام النعت عند الأصوليين ببيان الصفة في المحدث تكون معنوية (عاقلة وعالم) ، وفعلية راجعة إلى الفعل في المحدث ؛ لأن الفعل يحركه الفاعل ، وهذه الحركة في الذات معنى ، أما أفعال الله - جل شأنه - فإنها ليست بحركة فاعل ؛ لأنها لا في نفسه بل هي في غيره ، وأن الوصف المتقدم يختص بالجوهر دون الأعراض^(٤٠) .

و قد فرّق السهيلي في النص المذكور أنفاً بين الصفة عند النحويين وعند الأصوليين . وتكلم المعتزلة عن صفات الله ، وأن صفاته عين ذاته ، ودفعوا تعدد الأجزاء ، وأن الصفات في المحدث غيرها في الله^(٤١) .
أرى أن الخليل وسيبويه والرعيّل النحوي في القرن الأول إلى القرن الثالث قد تبنوا الصفة وأحوالها من خلال النظر في أساليب العرب ، وأن الصفة في أحوالها تتبع الموصف ، وتتبعهما في التركيب يشهد بذلك ، دون تأثر بالأصوليين وأن التأثر واضح عند المتأخرين ، كما عند السهيلي .

٤- المحور الرابع : الحركة والسكون :

ذكر الدكتور كريم حسين ناصح أن النحويين قد أخذوا من مفاهيم الكلاميين عن حركة الجواهر وسكونها ، وأفادوا منها توظيفاً فيما يقاربهها ، فالحركات : الضمة ، والفتحة ، والكسرة في قبال الحركة الكلامية المتغيرة ، و(السكون) كحركة في قبال السكون الكلامي ، والحركة والسكون للجواهر متغيرة مما يجعل الحركات متغيرة في النحو ، والإعراب دلالة المعاني ، مشيراً إلى أن الخليل قد وضع الحركات شكلاً بعد التطوير الذي جاء على يد أبي الأسود الدؤلي في نقط القرآن الكريم ، معرجاً على ما ذكر سيبويه في كتابه لمجاري الكلم التي قصد بها (الإعراب)^(٤٢) .

صرح سيبويه في مقدمة كتابه بالحركات الإعرابية في باب مجاري أو آخر الكلم من العربية ، بقوله : ((وهي تجري على ثمانية مجارٍ : على النصب والجرو الرفع والجزم ، والفتح والضم والكسر والوقف . وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب : فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد ، والجر والكسر فيه ضرب واحد ، وكذلك الرفع والضم ، والجزم والوقف))^(٤٣) ، ففي النص المذكور أنفاً ذكر سيبويه العلامات الإعرابية الأربعة ، وحكمها الذي يقع في أربعة أحكام .

وعقّب سيبويه على العلامات الأربعة بربطها بالعمل وأثره (الإعراب) ، بقوله : ((وإنما ذكرت لك ثمانية مجارٍ لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يُحدث فيه العامل .. وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه .. وبين ما يُبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل ، التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحرف ، وذلك الحرف حرف الإعراب))^(٤٤) .

يظهر في النص المذكور أنفاً أن سيبويه يربط بين العامل وأثره (الإعراب) الذي تمثله الحركات الأربعة ، وأنها متغيرة بحسب تغير العوامل ، وأن سيبويه من خلال النظر في أساليب العرب رابطاً في تتبعه لتغير العوامل التي تؤدي بدورها إلى تغير الحركات (الإعراب) قد وضع الحركات الإعرابية .
وبين السيرافي أن الحركات متغيرة بتغير العامل ، مشيراً إلى العلامات التي ذكرها سيبويه من الحركات والسكون^(٤٥) ، وفصل الرماني الإعراب والبناء بالبنية والحركات التي ذكرها سيبويه ، ذاكراً تغيرها في المعرب ولزمها في المبني في تقسيمات الكلمة ، رابطاً بينها وبين العامل^(٤٦) .

وأحسب سيبويه قد نظر في ما يجلبه العامل من موضع وعلامة إعراب في آخر الكلمة التركيبية ، سواء أكان إعراباً أم بناء^(٤٧) ، وهذه التغيرات الصوتية الدلالية ظاهرة لمن تتبع أساليب العرب ، وكذا كان الخليل بن أحمد الفراهيدي ممن تتبع أساليب العرب بالنظر والملاحظة^(٤٨) ، ففي علم العروض ، الذي يعتمد في وضع الأوزان الشعرية على الأوتاد والأسباب والفاصلة ، التي هي قائمة على الحركات والسكنات ، وكذلك مصطلحات علم العروض التي وضعها الخليل ، بل استمد تسميات مصطلحاتها من البيئة العربية^(٤٩) ، وكذا في معجمه العين قد توصل الخليل إلى وضعه من خلال أعمال فكره والنظر في ما جاءت به العرب ، وهذا واضح ، بل صرح به في مقدمة معجمه^(٥٠) ، مما يجعلنا نتبنى أن ما توصل إليه في علم النحو هو بالنظر وتتبع التراكم العربية بالمشاهدة دون الاحتياج إلى التأثر بالفكر الكلامي في مفهومه للحركة والسكون .

٥- المحور الخامس : الأصل والفرع :

ربط الدكتور كريم حسين ناصح بين مفهوم الأصول عند الأصوليين في أصول الدين ، والفروع الفقهية ، وبين ما اصطلح عليه النحويون في النحو من أصل وفرع ، وأن الفرع يتفرع من الأصل ، لأن الحدوث لا بد أن

يكون له بدء يتبعه فرع تفرع عنه ، وكذا المعاني ، وأن الواضع قد وضع أجزاء اللغة في وقت واحد دون أسبقية ، مما جعله يحكم بتعليمية الفكرة (الأصل والفرع) عند النحويين^(٥١) .

جاء مصطلح الأصل في كتاب سيبويه بلفظ الأول ، وكذا بلفظ (أصل) ، نحو قوله : ((وأعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة وهي أشد تمكناً ؛ لأن النكرة أول ... وأعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول))^(٥٢) ، وكذا لفظ (أصل) ، نحو قوله : ((وذلك قولك الحمد لله ... والويل لك .. لأن الابتداء إنما هو خيرٌ ، وأحسنه إذا اجتمعت نكرة ومعرفة أن يبتدئ بالأعرف ، وهو أصل الكلام))^(٥٣) .
وورد مصطلح (الفرع) مفهوماً عند سيبويه عندما تكلم عن (الأول والأصل) ، إلا في موضوع واحد ذكر مصطلح (الفرع) بصيغة الجمع^(٥٤) .

وذكر ابن السراج في أصوله مصطلح (أصل) ، بقوله : ((أن يكون أصل الكلام إضافة أسماء الزمان إلى مصدر مضاف . فحذف اسم الزمان اتساعاً نحو : جئتكم مقدم الحاج ، ...))^(٥٥) ، أما مصطلح (فرع) فقد ورد صريحاً ، في قوله : ((لأن الأصل للمفرد ، والجملة فرع ولا ينبغي أن تقدم الفرع على الأصل ...))^(٥٦) .
وقد تناول المحدثون مصطلح الأصل والفرع في النحو العربي ، فقد فصل تمام حسان أصل الكلمة والتركيب (الجملة) ، وقسم مفهوم الأصل إلى أقسام منها : أصل الوضع وأصل القاعدة ، والأصل المهجور ، والعدول عن الأصل ونحو ذلك^(٥٧) .

وألّف طارق النجار كتاباً بعنوان (نظرية الفروع والأصول في النحو العربي) تكلم مفصلاً عن مفهوم هذين المصطلحين^(٥٨) ، وكذلك كتاب (الأصول والفروع في كتاب سيبويه) لعبد الحلّيم محمد^(٥٩) .
وأشار هادي نهر في كتابه (الشرح المعاصر لكتاب سيبويه) إلى مصطلح الأصول والفروع عند سيبويه^(٦٠) .

أما بالنسبة للأصوليين (المعتزلة) فقد تكلموا في الأصول والفروع وظهرت بشكل واضح في نزعاتهم ومحاججاتهم الكلامية^(٦١) .

وأرى أن نظرية الأصل والفرع عند النحويين المتقدمين كانت بعيدة عن التأثير بالمتكلمين ؛ إذ إنهم قد كشفوا عن هذا المفهوم من خلال متابعة أساليب العرب وكلامهم ونسجهم ، ونظام لغتهم^(٦٢) ، وأن روح اللغة يتطلب من النحويين الموضوعية والابتعاد عن ما جاء به الفلاسفة والمتكلمون^(٦٣) ؛ لاختلاف طبيعة اللغة عن طبيعة العلوم الأخرى ؛ لأن النحو قائم على أساس واحد وهو المشافهة (السماع) ، وهذه العلوم متأخرة عنهم ، أي : العرب الفصحاء الذين أخذت عنهم اللغة ، وما جاء به النحويون المتقدمون هو من روح اللغة وواقعها ، الذي كان يعيه العربي الفصيح مفهوماً^(٦٤) .

الخاتمة ونتائج البحث :

تبيّن بعد الخوض في غمار الدراسة للمصطلح النحوي ومدى تأثيره بالمصطلح الكلامي من عدمه ، وسبر أغوار هذا العلم ، الذي يشكل مرتكزاً مهماً في التركيب والنص النحوي ؛ لأنه يوضح المفاهيم ، والمقاصد ، وحركة التراكييب ، ووحداته داخل الجملة أو النص النحوي ، وهو من الأدوات المهمة بأجزائه في علم النحو ، شأنه شأن العلوم الأخرى التي تتضح بمصطلحاتها ، والمصطلح النحوي قد شكّل إشكالاً واضحاً عند القدماء والمحدثين على حدّ سواء ؛ لأن بيان أصوله ، ومرتكزاته ، وحركته داخل التركيب النحوي غير جلية غالباً بشكل سهل ، فخلصت الدراسة إلى نتائج ، هي :

- ١- أن النحويين القدماء المتقدمين كالخليل وسيبويه لم يتأثر المصطلح لديهم بالمصطلح الكلامي ، وهذا يمتد إلى القرن الثالث الهجري .

- ٢- أن القدماء من النحويين المتقدمين قد اعتمدوا على الأصل اللغوي ، والعقل الفطري العربي في تتبع أساليب العرب ، ووصف لغتهم ووضعها ، ومنها المصطلح النحوي .
- ٣- أن التأثير بالمصطلح الكلامي ومفاهيمه يظهر جليا عند المتأخرين من النحويين القدماء ، وقد صرح بعضهم بذلك .
- ٤- أن إسقاط المصطلح الكلامي ومفاهيمه على النحو العربي في مصطلحاته يؤدي إلى خلل في وصف الواقع اللغوي ؛ لأن مطابقته للواقع يلزم أن تكون مفاهيمه مطابقة للواقع اللغوي بيئة .
- ٥- أن المصطلح في باقي علوم العربية ، كالمعجم والعروض قائم على عدم التأثير بالعلم الكلامي ، بل هو علم قائم بمصطلحاته ومفاهيمه على الواقع اللغوي العربي ، مما يجعل حريا بنا حمل المصطلح النحوي بنفس المنطلق الذي انطلق منه علم المعجم وعلم العروض .

الهوامش :

- (١) ينظر : المصطلح النحوي دراسة نقدية تحليلية : ٢ .
- (٢) ينظر : المصطلح النحوي : عوض حمد القوزي : ٧ .
- (٣) الخصائص : ١ / ١٠٣ .
- (٤) التعريفات : ١٣ .
- (٥) ينظر : عبقرى من البصرة : ٣٢ ، والخليل بن أحمد الفراهيدي : ٧٣ ، ونظرية الفروع والأصول في النحو العربي : ٧ .
- (٦) ينظر : الأصول تمام حسان : ١٣ ، والأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه : ١٠٤ - ١٠٥ .
- (٧) ينظر : دراسات مصطلحية : ٦٥ .
- (٨) ينظر : الفكر النحوي العربي : ٧٢ - ٨٠ .
- (٩) الكتاب : ج ٢ / ١٢١ .
- (١٠) المقتضب : ٣٩٩/٤ .
- (١١) الخصائص : ٣٦/٢ .
- (١٢) م . ن . ٢ / ٤٧٠ ، ٣ / ٣٢ .
- (١٣) شرح اللمع لأبن برهان ١ / ٤٢ .
- (١٤) ينظر : مذهب المعتزلة من الكلام إلى الفلسفة : ١٨٢ .
- (١٥) ينظر : نظرية الفروع والأصول في النحو العربي : ٨ .
- (١٦) ينظر : عبقرى من البصرة : ٩٧ .
- (١٧) ينظر : م . ن . ٣٣-٣٤ .
- (١٨) ينظر : عبقرى من البصرة : ٣٢ ، والخليل بن أحمد الفراهيدي : ٧٣ ، ونظرية الفروع والأصول في النحو العربي : ٦-٥ .
- (١٩) ترتيب كتاب العين : ٣٢٦/١ .
- (٢٠) ينظر : شرح اللمع لأبن برهان : ١ / ٤٢ .
- (٢١) ينظر : شرح الرضى على كافية ابن الحاجب : ١ / ٤٢ .
- (٢٢) ينظر : البحر المحيط للزركشي : ١ / ١٤ .
- (٢٣) ينظر : نظرية الفروع والأصول في النحو العربي : ٨ .
- (٢٤) ينظر : الفكر النحوي العربي : ٧١-٧٢ .
- (٢٥) ينظر : البحر المحيط للزركشي : ١ / ١٤ .
- (٢٦) ينظر : العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث : ١٦٨ ، والعامل والأثر في الدرس النحوي بين القديم والحديث (أطروحة) : ٧١-٧٢ .
- (٢٧) ينظر : الفكر النحوي العربي : ٨١-٨٩ .
- (٢٨) الكتاب : ١ / ١٢ .
- (٢٩) ينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ١ / ١٥-١٧ .
- (٣٠) ينظر : شرح كتاب سيبويه للرماني : ١ / ٥٦ .
- (٣١) حواشي كتاب سيبويه : ١ / ٤١ .

- (٣٢) ينظر : النزعة العقلية عند المعتزلة : ١٠٥ .
- (٣٣) ينظر : م . ن . ٥١ .
- (٣٤) ترتيب كتاب العين : ١ / ٣٥٤ .
- (٣٥) ينظر : م . ن . ١ / ١٣٩ .
- (٣٦) ينظر : العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث : ٧١ - ٧٢ ، و العامل والأثر في الدرس النحوي بين القديم والحديث (أطروحة) : ٧١ - ٧٢ .
- (٣٧) ينظر : الشرح المعاصر لكتاب سيبويه : المجلد الأول : ١ / ١٣ - ١٤ .
- (٣٨) الفكر النحوي العربي : ٨٩ / ١٠٠ .
- (٣٩) الكتاب : ٢١ / ١ ، وينتظر : ١ / ٤٤ ، ٥٥ ، ٩ / ٢ ، ١٣ ،
- (٤٠) ينظر : نتائج الفكر : ١٨٥ / ١٦٠ .
- (٤١) ينظر : المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها : ٨٥ - ٨٦ .
- (٤٢) الفكر النحوي العربي : ١٤٦ - ١٤٧ .
- (٤٣) الكتاب : ١٣ / ١ .
- (٤٤) الكتاب : ١٣ / ١ .
- (٤٥) ينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٢١ / ١ - ٢٢ .
- (٤٦) ينظر : شرح كتاب سيبويه للرماني : ٦٠ / ١ - ٧٠ .
- (٤٧) ينظر : الشرح المعاصر لكتاب سيبويه : المجلد الأول : ٥١ / ١ - ٥٢ .
- (٤٨) ينظر : الخليل بن أحمد الفراهيدي : ٧٣ ، و عبقرى من البصرة : ٣٢ .
- (٤٩) ينظر : عبقرى من البصرة : ٩٥ - ٩٧ .
- (٥٠) ينظر : ترتيب كتاب العين : ٤١ / ١ - ٤٢ .
- (٥١) ينظر : الفكر النحوي العربي : ١٧٣ - ١٨٢ .
- (٥٢) الكتاب : ٢٢ / ١ ، وينظر : ٢٣ / ١ ، ٢٤ .
- (٥٣) م . ن . ٣٢٨ / ١ ، وينظر : ٩١ / ٣ ، ١١٢ .
- (٥٤) ينظر : م . ن . ٤٣٢ / ٤ .
- (٥٥) الاصول في النحو لابن السراج : ١٩٣ / ١ ، وينظر : ٢٠٤ / ١ ، ٣٤٠ .
- (٥٦) م . ن . ٦٢ / ٢ ، وينظر : ٣٢٨ / ١ .
- (٥٧) ينظر : الأصول : ١٠٧ .
- (٥٨) ينظر : نظرية الفروع والأصول في النحو العربي : ٧ - ٨ .
- (٥٩) ينظر : الأصول والفروع في كتاب سيبويه : ١٧ - ٢٠ .
- (٦٠) ينظر : الشرح المعاصر لكتاب سيبويه : المجلد الأول : ٩ / ١ .
- (٦١) ينظر : النزعة العقلية في تفكير المعتزلة : ٥٦ .
- (٦٢) ينظر : الخليل بن أحمد الفراهيدي : ٧٢ ، ونظرية الفروع والأصول في النحو العربي : ٥ - ٦ .
- (٦٣) ينظر : نظرية الفروع والأصول في النحو العربي : ٨ .
- (٦٤) ينظر : بناء الجملة العربية ، محمد حماسة : ١٩ .

المصادر والمراجع :

- العامل والأثر في الدرس النحوي بين القديم والحديث (أطروحة) ، دراسة وصفية تحليلية نقدية ، الطيب دخير ، الجزائر ، ٢٠١٤ م .
- الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ، إدريس مقبول ، ط ١ ، عالم الكتب الحديث ، إربد - الأردن ، و جدار الكتاب العالمي ، عمان - الأردن ، ٢٠٠٧ م .
- الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو - فقه اللغة - البلاغة ، تمام حسان ، د ط ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- البحر المحيط في أصول الفقه ، للزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، الشيخ عبد القادر عبد الله العاني ، راجعه : عمر سليمان الأشقر ، ط ٢ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، ١٩٩٢ م .

- الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، ط ١ ، المكتبة التوفيقية ، ٢٠١٥ م .
- الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه ، مهدي المخزومي ، ط ٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٦ م .
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، محمد حماسة عبد اللطيف ، ط ١ ، مطبوعات الجامعة ، الكويت ، ١٩٨٤ م .
- الفكري النحوي العربي بين فهم النص القرآني وتأثير سلطة العقل ، كريم حسين ناصح الخالدي ، ط ١ ، الرضوان للنشر ، عمان ، ٢٠١٦ م .
- الكتاب كتاب سيبويه ، لأبي بشر عمر بن عثمان قنبر (ت ١٨٠ هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط ٤ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م .
- المصطلح النحوي ، دراسة نقدية تحليلية ، أحمد عبد العظيم عبد الغني ، د ط ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠ م .
- المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، عوض بن حمد القوزي ، ط ١ ، عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض ، د م ، ١٩٨١ م .
- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، عواد بن عبد الله المعتق ، ط ٢ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٩٩٥ م .
- المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، د ط ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ٢٠١٠ م .
- النزعة العقلية في تفكير المعتزلة ، علي فهمي خشيم ، ط ٢ ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ١٩٨٦ م .
- بناء الجملة العربية ، محمد حماسة عبد اللطيف ، د . ط ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
- ترتيب كتاب العين ، للخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، تصحيح : أسعد الطيب ، ط ٣ ، أسوة ، د . ت .
- حواشي كتاب سيبويه ، لأبي علي الفارسي وأبي القاسم الزمخشري وأبي عبد العزيز العيوني ، تحقيق : سليمان بن عبد العزيز العيوني ، ط ١ ، دار طيبة الخضراء ، الرياض ، ٢٠٢١ م .
- دراسات مصطلحية ، مجلة حولية محكمة يصدرها معهد الدراسات المصطلحية ، العدد ٥ ، المغرب ، ٢٠٠٦ م .
- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، رضي الدين الإسترأبادي (ت ٦٨٦هـ) ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- شرح اللمع ، لأبن برهان العكبري (ت ٤٥٦هـ) ، تحقيق : فائز فارس ، ط ١ ، السلسلة التراثية ، الكويت ، ١٩٨٤ م .
- شرح كتاب سيبويه ، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ) ، دراسة وتحقيق : شريف عبد الكريم النجار ، تقديم عياد عبد الثبيتي ، ط ١ ، دار عمار للنشر والتوزيع ، ودار السلام ، القاهرة - مصر ، ٢٠٢١ م .

- شرح كتاب سيوييه، أبي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت ٣٦٨ هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
- عبقرية من البصرة ، مهدي المخزومي ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٦ م .
- كتاب التعريفات ، للشريف علي بن محمد الجرجاني ، ط١ ، المطبعة الخيرية ، المنشأة بجمالية مصر ، ١٣٠٦ هـ .
- مذهب المعتزلة من الكلام إلى الفلسفة ، رشيد الخيون ، ط٣ ، الدار العربية للطباعة والنشر ، الرياض ، ٢٠١٥ م .
- نتائج الفكر في النحو ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١ هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٢ م .
- نظرية الفروع والأصول في النحو العربي ، طارق النجار ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١٧ م .